



مجلة كلية الآداب

مجلة علمية محكمة فصلية

شتاء ٢٠١٦

العدد (٧٦) الجزء (١)

مجلة الكلية مجلة عملية محكمة ربع سنوية تقوم بنشر الأبحاث العلمية في مجالات الدراسة اللغوية والأدبية والإنسانية. والدعوة مفتوحة أمام الباحثين من سائر أنحاء العالم العربي للمساهمة ببحوثهم الأكاديمية والتنموية.

قواعد النشر :

- ١- يقر الباحث كتابة أن بحثه لم يسبق نشره ولم يرسل لجهة أخرى للنشر.
- ٢- يتراوح طول البحث المقدم للنشر بين عشرين صفحة وستين صفحة ومازاد عن ذلك يعامل بسعر الصفحة.
- ٣- يقدم الباحث بحثه باللغة العربية أو الإنجليزية أو بالعكس وأن يقدم ملخصاً لبحثه في حدود خمسة عشر سطراً باللغة الإنجليزية أو العربية.
- ٤- تقدم الأعمال إلى المجلة مكتوبة على الكمبيوتر ومصحوبة بأسطوانة مرنة تمهيداً لعرض البحث على أحد المحكمين المرموقين في التخصص الدقيق وأن يكون رأيه ملزماً، وفي حالة اختلاف الرأي يعرض الباحث علي محكم آخر.
- ٥- تعد الخرائط والرسوم البيانية وغيرها من الإيضاحات بالحبر الصيني على ورق ورسن قابل للإستساخ المباشر.
- ٦- يعتبر البحث المنشور في المجلة معبراً عن رأي كاتبه فقط.
- ٧- لاترد أصول الأعمال المقدمة للمجلة سواء أقبلت للنشر أو لم تقبل.
- ٨- هذه الأبحاث العلمية بما فيها من آراء تعبر عن أصحابها.
- ٩- توجه جميع المكاتبات أو الاستفسارات الخاصة بتكاليف النشر إلى الأستاذ الدكتور وكيل الكلية للدراسات العليا ونائب رئيس التحرير على العنوان التالي:

كلية الآداب - جامعة الزقازيق

تليفون : ٠٥٥/٢٣٤٣٨٢١

<http://www.Arts@Zu.edu.eg>

مجلة كلية

مجلة كلية الآداب – جامعة الزقازيق

صدر العدد الأول ٨٦ – ١٩٨٧م

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور

عبد الله عسكر

أستاذ علم النفس

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

عميد الكلية

الأستاذ الدكتور

عماد مخيمر

أستاذ ورئيس قسم علم النفس

سكرتير التحرير

مستشارو التحرير

أ.د. إبراهيم المسلمي

أ.د. طارق زكريا

أ.د. إبراهيم عودة

أ.د. هناء زكريا

أ.د. عبد الرحمن بشير

أ.د. حسن حماد

أ.د. عثمان محمد عثمان

أ.د. عواطف حسين صالح

أسماء السادة الأساتذة محكمي هذا العدد وفقا للترتيب الأبجدي

أ.د/ اسماعيل عبد الباري

أ.د/ راوية حسين

أ.د/ شريف درويش مصطفى اللبان

أ.د/ عبد الله عسكر

أ.د/ علي السيد إبراهيم عجوة

أ.د/ محمد السيد سليمان العبد

أ.د/ محمد سعيد محمد عطية عرام

أ.د/ محمد عبد الحميد السيد غنيم

أ.د/ محمد عبد الحميد سالم

أ.د/ نادية كامل صليب

تقديم

يسعدنا أن نقدم للباحثين والقراء العدد (76) من مجلة كلية الآداب – جامعة الزقازيق التي تصدر في ثوبها الجديد، وتتناول موضوعات في تخصصات الاجتماع اللغة العربية وآدابها ، والاعلام وعلم النفس لباحثين متميزين من الجامعات المصرية والعربية.

ونرحب بأراء الباحثين والقراء – كل حسب اهتمامه – في موضوعات المجلة ، من حيث الشكل ، نظرا لكون الموضوعات المعروضة تعبر عن اتجاهات وآراء الكتاب المساهمين.

للمراسلة عبر البريد الالكتروني arts@zu.edu.eg

مع وافرتحياتنا
هيئة التحرير

المحتويات

الجزء الأول

اعتماد الشباب المصري الجامعي على المضامين الخيرية بمواقع التواصل الاجتماعي في متابعة الأحداث الجارية واتجاهاته نحو مصداقيتها

د. فوزي عبد الرحمن الزعبلوي..... ١

تفسير الأربع آيات الأولى من سورة البقرة للعلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله تعالى ١٣١٢هـ - ١٣٨٦هـ

د. غزيل بنت محمد بن دحيم الدوسري ٩٩

السياب في أقانيمه الثلاثة

د. نوال عبدالرحمن أحمد المجاهد..... ١٢٣

العنف العاطفي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى عينة من أطفال المؤسسات الإيوائية

د. أيمن محمد السيد محمد شحاتة ١٤٥

حجاجية خطاب التحكيم الشعري عينية الصلتان العبدية نموذجاً

د. إبراهيم عبد العزيز زيد..... ١٩٥

السّياب في أقانيمه الثلاثة

د/ نوال عبدالرحمن أحمد المجاهد
أستاذ مساعد في جامعة اليمامة بالرياض

ملخص الدراسة

عنوان الدراسة: السّياب في أقانيمه الثلاثة

هذه دراسة بحثية عن الشاعر بدر شاعر السّياب.

وقد سلّطت الدراسة الضوء على السّياب الرجل (وليس النص). حيث ارتكزت مشكلة الدراسة على استكشاف عوالم الشاعر (ومافيه من خفايا وغموض) من خلال قناتين أساسيتين:

- نصوصه. فالنصوص هي العامل الحاسم لاستكشاف عوالم الشاعر.

- ومثّل التاريخ الشخصي للشاعر القناة الاستكشافية الثانية.

وقد اعتمدت الدراسة على منهج الاستقراء التحليلي.

وقامت الباحثة بطرح عوالم الشاعر تدريجياً وتلمّس ارتباطها مع بعضها في سلسلة متنامية. ومن أجل اكتمال الطرح الموضوعي استلزمت الدراسة إدراج موضوع المرأة في حياة الشاعر، للوقوف على غوامض شخصية السّياب.

وكان من أبرز النتائج التي وصلت إليها الدراسة:- إن العلاقات التي ربطت عوالم الشاعر ببعضها؛ علاقات طردية، وقد مثل كل عالم منبعاً للعالم الذي يليه.

- كشفت الدراسة عن بعض المبررات التي ألجأت الشاعر لاستعمال الصور العنيفة (لاسيما في علاقته بالمرأة).

السّياب في أقانيمه الثلاثة

لم يعيش الشاعر بدر شاعر السّياب حياة طويلة، ولم تتعدّ أنفاسه بضعة سطور في كتاب

الدينا، فقد مات في التاسعة والثلاثين من عمره، عام ١٩٦٤م.

إلا أن تأثير هذا الإنسان هيمن على المشهد الثقافي العربي بدرجة تفوق الوصف- في

حياته وبعد رحيله- إلى يومنا الحالي.

شاعرٌ مبدع وإرث ضخم وتجربة شعرية مازالت مُحاطة بهالات من التأمّلات والتكهنات.

وقد كان للظروف التاريخية الشديدة الوطأة دور رئيس في تشكيل هذا الإبداع الخالد.

حيث عاصر قيام الحركات السياسية والفكرية من بعثية وقومية وشيوعية، وشهد استقلال العراق، وزوال الملكية، ثم عهود الانقلابات الدموية، وعاصر كذلك الحرب العالمية الثانية، واحتلال فلسطين.

** لا بد من القول بداية إن أية دراسة عن السّياب لا بد أن تنطلق من ثلاثة أرقام أساسية:

١- الطفولة

٢- الاغتراب

٣- السخط

وترتبط هذه الأرقام ببعضها ارتباطاً طردياً، حيث يمثل كل إقنيم الأب الشرعي للإقنيم الذي يليه.

فواصل في حياة السّياب:

- شكّل الرحيل المبكر للأُم صدمة وجدانية عميقة في نفسية السّياب، ولاتكاد تخلو قصائده من الروح الثكلى لطفلٍ يتيم.

وبعد اقتران والده بزوجة أخرى، وإنشاء أسرة جديدة، نزلت مكانة الطفل بدر في الأسرة، فلم يحظَ بمكانته الحقيقية بصفته الابن البكر لوالده.

فأرسل السّياب الأب طفله بدرًا للعيش عند جدته لأُمه التي رعته بحنانها، ومثلت هذه اللقطة القدرية اللطيفة جانبًا شديد الحساسية في شخصية السّياب ليعيش متشوقًا لذلك الحنان وتلك الرحمة اللذين لم يستمرا طويلا.

- من المؤثرات الخارجية على نفسية السّياب كذلك كثرة تنقلاته وهو لم يزل طري العود، فلا يكاد يهناً بحال من الأحوال، بل يضطر لمفارقة الناس والأوطان كل حين.

ونراه-وهو لما يبلغ العشرين- وقد تنقل من بيت لبيت، ومن بلد إلى بلد آخر، وهكذا.

فارتحل- بما يشبه الانتزاع الجبري- جيكور مرعى طفولته للعيش مع جده وجدته.

ثم ارتحل إلى البصرة للدراسة الثانوية، ومن البصرة إلى بغداد. للدراسة في كلية المعلمين، ثم

ارتحل لمدينة الرمادي للعمل فيها.^(١)

وكان يتنقل لوحده دون سندٍ أسري يرافقه ويدعمه، ومع كل انتقال تتغير حوله الوجوه

والشخصيات والمواقف.

فهو لم يعيش مع والدته إلا قليلاً

ولم يعيش مع والده إلا قليلاً

ولم يعيش مع جدته إلا قليلاً

وهكذا..

فأي نفسية، بل أيّ نفسيات، تلك التي تعاورت على هذا الشاب، وهو يرى نفسه مرتحلاً - بما يشبه الترحيل - متنقلاً بين الوجوه والمدائن؟

إن ظروف حياة السّيّاب القلقة صبغت روحه بالقلق والاعتراب والترقب، وكان من إثر هذه التنقلات وتعاقب الوجوه وتبدلها بوجوه أخرى بوتيرة سريعة، توالد الأحداث بوتيرة سريعة كذلك.

أحداث متوقعة حيناً، وأحداث غير متوقعة أحياناً كثيرة. وكان من إثر افتقاد والدته، ومن بعدها جدته - وهما منبعاً الحنان الأول - أن ظل السّيّاب متلهفاً ظامئاً للحب والحنان طيلة حياته، وفي تعدد النساء المعشوقات في حياته برهان ساطع على احتياجه للمرأة.

فقد تعلق قلبه في أثناء صباه الأول، بفتاتين: (وفيقة وهالة). ووفيقة كانت من أقربائه، خاب أمله بالزواج بها، وكان تعلقه بها شديداً، وظل بعد وفاتها يذكرها في قصائده حتى آخر أيامه، أما هالة فهي راعية أغنام ذكرها في أشعاره أكثر من مرة. وتعلق قلبه كذلك ببعض طالبات الكلية، مسطراً فيهن القصائد، ذاكراً أسماء بعضهن، ومُكَنِّياً بصفات أخريات، من أمثال: (لميعة، ذات الغمازتين، الأقحوانة).^(٢)

ولاشك بأن المؤثرات السابقة شكّلت منعطفات وجدانية حادة في شخصية السّيّاب بدرجات متفاوتة من الترقب الدائم لحدوث شيء ما.

● من ناحية أخرى قد لا يُستبعد أن يكون السّيّاب هو نفسه راغباً بالارتحال، مستجيباً لدواعي الرحيل كل حين، كارهياً الاستقرار الدائم في مكان واحد. يتضح لنا هذا من رسالة بعثها لصديق له، متضجراً من سكون الريف وخموده، حتى كاد يفقد موهبته الشعرية برمتها: "يُنْجِل إلي أي نسيت أساليب الكتابة، وفقدت كل مواهبي، وهمٌّ مُرٌّ واعتقاد مؤلم، إن الفراغ والبطالة والسأم والخمود تمتزج بجو الريف اللاهب، الساكن سكون الصورة الشوهاء، ترسمها يد مشلولة عن التحليق، مهيضة لاتبلغ سماء الفن في حال. كل هذه الأشياء تُوهم لإنسان تعود على حياة الحركة والنشاط والعاطفة الجاحمة، أنه أصبح شيئاً غير ماكان، أو قل: إنه عاد لاشيء مما كان"^(٣)

ومن الرسالة التي كتبها في منتصف الأربعينيات (الميلادية) نلمس غلبة روح السّامة والملل على كاتبها.

فالسيّاب متفاعل مع تجربته الشعرية وحريص عليها بشكل كبير.
هذه الموهبة التي تكاد تكون أعلى مما يملك.

- الحقيقة أن السيّاب مثل ظاهرة فريدة في الأدب الحديث، فهو على الرغم من قصر حياته، إلا أن تأثيره انسحب على جيله والأجيال من بعده، وبرغم مرور أكثر من نصف قرن على رحيله، إلا أن هالات الغموض حوله لم تنكشف ولا تكاد تنجلي.
وفردة السيّاب تشعّ أولاً من موهبته الشعرية في سبك قصائده ضمن قوالب لفظية وموسيقية تمتاز بالروعة:

ياقلب مالك؟ لست تهدأ ساعة

ماذا تريد؟

النجم غاب وسوف يشرق من جديد، بعد حين.

والجدول الهدّار.. هينم ثم نام.

أما الغرام - دع التشوق يافؤادي والحنين.

أأظل أذكرها وتنساني؟

وأبيت في شبه احتضار وهي تنعم بالرقاد؟

شعّت عيون حبيبها الثاني.⁽⁴⁾ (في القرية الظلماء)

وكما أسلفت في بداية الكلام أنه لامناص لنا من دراسة الرجل عبر الأقانيم أو الروافد الأساسية الثلاثة، التي عكستها نصوصه.

الأقانيم الثلاثة:

أولاً: الطفولة:

السيّاب ومنذ بداياته الأولى صاحب روح متطلعة لتحقيق عالم من المثالية والكمال، عالم تسوده العدالة والمساواة. نلمس هذه الروح التواقفة للخير والعدل في قصة شهداها صغيراً، بقيت في دهاليز ذاكرته تطل بوجهها من حين لحين:

"ومع أن أهلي كانوا من أطيب الناس قلوباً وأكثرهم بساطة وديمقراطية، فقد رأيت من مظلهم التي أنزلوها بالفلاحين شيئاً كثيراً. أذكر زنوبة زوجة الفلاح التي كانت تخدم في منزلنا قانعة بعد يوم من العمل الشاق، بصحن من المرق أو الثمن، وببضعة أسمال لها ولأطفالها كلما حلّ العيد. وفي إحدى غرف الدار كانت أكياس الرز والطحين والسكر والشاي، ويبدو أن زنوبة وهي ترى أطفالها يجوعون، تجرأت وسرقت حفنة من الرز أخفتها في ثيابها وأحسّ بها أهلي.. رأوا الرز الذي هيأته لتأخذه حين تغادر الدار.

فماذا فعلوا؟

وضعوا حفنة الرز في إناء تركوه في إحدى غرف الدار، ثم أمروا زنوبة أن تكنس تلك الغرفة، فترى الرز، وتعلم أن سرقتها قد افتضح أمرها.

إنني أتذكرها الآن تكنس وتبكي شاعرة بالخزي والعار والأسف والخوف. إن هذا المشهد وسواه من المشاهد، انطبعت في نفسي منذ الطفولة، فنشأت كارهة للظلم محبباً للآخرين^(٥).

والقصة تكشف القدرة الاستقلالية للطفل بدر، لينأى بمشاعره (ومفهومه) عن الآخرين، ويتعاطف مع الخادمة ومع من يمثلها من العوام المسحوقين.

ربما كان هذا أحد أسباب انضوائه تحت راية الشيوعية وشعاراتها البراقة.

الشيوعية المبشرة بـ"العمل للجميع والطعام للجميع والعدالة والمساواة... هذا ما كنا نعرفه عن الشيوعية في بادئ الأمر"^(٦).

نعم من لا يريد السلام والعدالة والمساواة؟

فهذا أقصى ما يعرفه الفتى بدر عن تلك الحركة الفكرية في بدايات انتشارها في المجتمعات العربية آنذاك، وهتف المخدوعون بها بحماسة وإخلاص، قبل أن تنكشف خباياها شيئاً فشيئاً، ليصبح السّياب لاحقاً، أبرز الكافرين بها وبحقيقتها السقيمة، مما جعله يكتب سلسلة من المقالات الهجومية بعنوان (كنت شيوعياً)، لم يتوانَ فيها عن تعرية حقيقتها الخبيثة وفضح أعلامها، حتى ولو كان ماسيكتبه ضد بعض المقرّبين منه، بل ضد نفسه.

● "إن الطفولة هي المفتاح إلى شخصية بدر شاكر السّياب، وكل محاولة لفهمه - إنسانياً وأديبياً - خارج دائرة الطفولة، هي محاولة ناقصة. وتشبّهه بلفظي الطفل والطفولة (قرابة

٩٠% من قصائده تتضمن هاتين اللفظتين) يعكس عمق معاناته وفرد حساسيته تجاه مرحلة قاسية من عمره رافقته آثارها حتى الكبر".^(٧)

عاش السّياب راثياً طفولته المسلوّبة المبتسرة المختزلة في مشاهد قليلة أخذها ومّاها وحافظ عليها كما الكنز النفيس وبثّها في قصائده ضمن "صورٍ باكية"^(٨) شديدة الغزارة، صور متشحة برثاء هذه المرحلة التي لم يشفِ وله إليها حتى آخر أيامه.

وبجانب هذا، عاش السّياب وهو مُدرِكٌ لحقيقة شاخصة أمام عينيه: تكوينه الجسماني أو مظهره الفريد، قلة وسامته إلى حدّ العدم، فلم يكن ذا مظهرٍ جذاب.

هل كان السّياب إلا (قلباً ولساناً)؟

لم يجن من الحنان والرحمة والحب (من أمه ثم جدته) إلا النزر اليسير، وهو عندما تذوّق هذه المشاعر بكى نفسه على ماقد فاتته من جماليات الرحمة.

رحمة الحضن الإلهي المتمثل في أقدم صورة بشرية:

حضن أمي وحضن جدتي.

أنتِ يامن فتحت قلبك بالأمس لحبي

أوصدتِ قبركِ دوبي

ليتني لم أكن رأيتكِ من قبلُ

ولم ألق منكِ عطف حنون

آه لو لم تعوديني على العطف وآه

لو لم أكن أو تكوني.^(٩) (رثاء جدتي)

هذا الشعور الأليم بالفقد من الصعب التعبير عنه.

شعور يمثل غربته الحاضرة، بل غربته الإنسان المتشوق الملاً للحب والعطف إلى درجة العوز.

إنه الاحتياج الفطري القديم الذي لم يتشبع به طفلاً، يطل برأسه في كل وقت.

هي وجه أمي في الظلام، وصوتها

يتزلقان مع الرؤى حتى أنام.^(١٠) (غريب على الخليج)

و جياغُ نحن مرتحفون في الظلمة

ونبحث عن يدٍ في الليل نُطعمنا، نُغطينا.^(١١) (مدينة بلا مطر)

و كأن طفلاً بات يهذي قبل أن ينام
بأن أمه التي أفاق منذ عام
فلم يجدها.. ثم حين حجّ في السؤال
قالوا له: بعد غدٍ تعود
لا بد أن تعود

وإن تهاشم الرفاق أمها هناك
في جانب التلّ تنام نومة اللحد
تسفتّ من تراهما وتشرب المطر. (١٢) (أنشودة المطر)

وتشترك الصورالسابقة في تصوير استحالة إخلاد الطفل للرقاد. حيث لا أمان إلا
باستحضار أمه، ولا رقاد إلا بلمسة أمه وصوتها ووجهها، ولا مهرب من الخوف والظلام والجوع إلا
بلمسة يديها.

- هذه المشاعر التكلّي استحالت اغترابات سحيقة.

ثانياً: الاغتراب:

إن موضوع الاغتراب طُرح بحثاً واستقصاءً في الدراسات الإنسانية عامة (الاجتماعية
والنفسية ومثلها الأدبية والفلسفية).

وتشوب مظاهر التعامل مع الاغتراب حالات كثيفة من الحيرة والاستغلاق المفضي للحنن
لامحالة.

لأن الاغتراب هو قدر الإنسان على الأرض. هو تلبية لكيونته العليا الأصلية، فطالما
يحمل روحاً بين جنبيه؛ فلا بد لا بد له من معايشة الاغتراب. "فإذا سويتته ونفختُ فيه من روحي"
الحجر ٢٩.

وفقدان (أو تضاؤل) حسّ البراءة، يرافقه فقدان الإنسان نظرتة النقية لما حوله، لتحلّ
مكائنها المشاعر الاغترابية الموحشة التي تزداد مساحتها مع تضاؤل الحسّ الفطري للإنسان.
والحقيقة أن الروح الاغترابية توهجت لدى السيّاب- ولدى مجابليه من مثقفي عصره- في
مستويات متعددة.

وبرزت القصيدة ذات النكهة الاغترابية^(١٣) مبكراً، في خواتيم الأربعينيات وأوائل الخمسينيات الميلادية تقريباً.

وهو بروزٌ مبرزٌ في حقيقة الأمر، حيث من الطبيعي- وفي ظل تراجع منظومة القيم الأخلاقية في المجتمع- أن يشعر الإنسان بالاغتراب ويعيشه واقعاً ملموساً.^(١٤)
** وفي حالة السياب نجد الاغترابين: النفسي والمكاني.

وقد سيطر عليه بصورة مُطبقة، فحياته بأسرها سلسلة من التغرب، يرتحل طوعاً أو كرهاً، تارة بسبب أسري وأخرى بسبب دراسي وثالثة بسبب سياسي ورابعة بسبب صحي... وهكذا.

حيث تنقل في مدائن العراق وحواضره، وفي دول مجاورة ودول غير مجاورة، ومن ضمنها تنقلات يشوبها القلق والخوف، لاسيما في هروبه من العراق عام ١٩٥٣م، بسبب انتماءاته الحزبية، وقد أودع السجن أكثر من مرة، وتعرض للمطاردات، فهرب متخفياً في زي راعٍ من الرعاة.

أمن بلادي هاربٌ؟ أي عار!!^(١٥) (فرار ١٩٥٣)

فعانى كثيراً لنشاطه السياسي، فبسببه سُجن، وبسببه فُصل من عمله، ومع أن السياب لم يكن مُستغرباً في الشأن السياسي بدرجة عميقة، ولكنه- في ظل التيارات الثورية المتصارعة- تضرر منها كثيراً، وخاصة في فصله من وظيفته، مما جعله هائماً على وجهه، متنقلاً بين مجموعة من الوظائف المؤقتة.

فعاش خائفاً وحناناً، وكان لهذا دور ملموس في تصعيد الروح الاغترابية لديه.

ولاشك بأن الواقع السياسي المريض يُلقي بظلاله على شتى جوانب المجتمع، فلم يكن السياب وحيداً في اغتراباته، بل كافة مثقفي عصره، إن لم يكن كافة شعبه.
إن انعدام العدل والمساواة يجعل الإنسان مُقيداً كسيحاً، ويؤجج جذوة الاغتراب بقوة أكبر فأكبر.

وقد وجد الشاعر العراقي نفسه في محيط قاسٍ، وأيقن بأن معركته خاسرة لانعدام تكافؤ قوى الصراع.. وهكذا، وبعد أن وعى المأساة، تشكّل في داخله ردّ الفعل المناسب وفق قدرته ووعيه، من خلال التمرد حيناً

أوالانكفاء على نفسه حيناً.^(١٦)

وغالباً ما يواجه المثقف صدمة الاغتراب بانتهاج الأساليب التعويضية لتخفيف مرارة الواقع المعاش، فيلجأ لعوالم الطفولة والماضي وتأسيس المدن الحاملة واستلهام التراث. (١٧)

إن اليأس - ولاشئ غيره- هو من طبع روح السّياب بالسخط والنقمة، يأسٌ من تغيير واقعه، واقع العراق الحالك السواد، فقد عاش السّياب في خِصَم الاضطرابات السياسية، في حقبة عصيبة من تاريخ العراق الدامي الممتد إلى يومنا الحالي. وحالة اليأس العميق هذه، أوجدت الروح الاغترابية لدى السّياب ولدى غيره من المثقفين.

- ومن ناحية أخرى، لامناص لنا من التأكيد على دور التخصص الأكاديمي للسّياب في توطيد الروح الاغترابية لديه.

فقد مثّلت دراسته في كلية دارالمعلمين العالية بقسم الأدب الإنجليزي، نقلة كبرى في تكوينه الثقافي، فدرس الأساطير القديمة في ميثولوجيات الآداب الإنسانية، وارتحل بروحه مع الأبطال في مغامراتهم ورحلاتهم.

وكأني بالسّياب وهو ينهل هذه الأساطير دراسة، كان يتمثلها في نفسه الناقدة للصراع البطولي من أجل أن يسود الحق، فأسهب عبر قصائده بذكر أولئك الأبطال في تمثّل أيقوني ساطع. وتشهد قصائده على تشرب مخيلته لتلكم الشخوص والقصص. ولربما عدّ نفسه مُبشراً شرعياً لهم، ولربما أيضاً تمثل المسيح عليه السلام في حالات شعورية متعددة.

من يصلب الشاعر في بغداد

من يشترى كَفِّيه أو مقلتيه

من يجعل الإكليل شوكاً عليه. (١٨) (العودة لجيكور)

و غنيثُ تُرْبَتِكَ الحبيبة

وحملتها فأنا المسيح يجر في المنفى صليبه. (١٩) (غريب على الخليج)

وتطرّق كذلك إلى مآسي الأوطان في زمنه، فذكر فلسطين والجزائر واليابان وكوريا وغيرها. وما لاشك فيه أن السّياب قد غالى في ذكره عشرات الشخصيات التاريخية من شتى الآداب القديمة والحديثة- القديمة بوجه خاص - شرقاً وغرباً، تاريخية ودينية إسلامية ومسيحية مثل:

(ميدوز، تموز، نرسييس، الأولمب، بابل، جنكيز،، قايليل، هايليل، القديس يوحنا، محمد، حراء، البراق، الزهراء، حفصة، اللات، يافا، أبرهة، ذو قار، أبو الهول، هيروشيما، عشتار، المسيح، العازر، عامورة، التتار..... الخ).

واكتظت بعض قصائده بتلك الشخصيات اكتظاظاً مزعجاً أساء لشعرية^(٢٠) بعض

القصائد.

* والحقيقة أن الروح الاغترابية عند السيّاب متأصلة منذ نشأته الأولى، لعوامل متنوعة تضافرت فيها بينها، وأنبئت في أعماقه شجرة من الاغترابات الهائلة.

فرحيل أمه مبكراً،

وارتحاله المتكرر،

وصدماته من جراء العلاقات العاطفية من جانبه هو فقط،

وغربة المدينة التي عاشها في بغداد، في أثناء دراسته في الكلية

إذ لم يرتح لأجواء المدينة الكبيرة بشوارعها الكبيرة وأبنيتها الضخمة

وشوارعها الكبيرة الممتدة كشرابين الجسم متباعدة تارة، ومتقاطعة فيما بينها تارة أخرى.

وقد صوّر اغتراباته هذه بصورٍ موسومة بالحزن والتسليم والشكوى.^(٢١)

وإضافة لما سبق، عملت الحالة الصحية المتردية للسيّاب، على تكبير روحه بعد أن كبّلت

جسده، ولم تُفلح محاولات الاستشفاء في الكويت أو في باريس أو في لندن، لأن الداء كان قد تمكّن

من جسده بشكل مريع.

ثالثاً: النقمة والسخط:

النقمة والسخط امتداد طبيعي للغضب والاعتراض، وثمره من ثمار اليأس المر.

وقد برزت روح التسخط لدى السيّاب في مواضع كثيرة، ومانشُرُه لمقالاته الشهيرة (كنت

شيوعياً) -التي فضح بها حقيقة الشيوعية- إلا رد فعل لسخطه ونقمته على هذه الحركة، بعد

تأكده من سراب وعودها البراقه بالعدالة والمساواة للجميع، فانقلب عليها بعد أن كان من أتباعها

المخلصين، ناشراً أولى مقالاته عنها في جريدة الحورية العراقية عام ١٩٥٩ م.

وتجلّت نقمة السيّاب وسخطه في مواضيع مختلفة، وخاصة موضوع المرأة، حيث تحفل

كثير من صورهِ الشعرية (مع الأنتى المشتهاة)، بمشاهد عنيفة إلى حدّ الألم.

وكأن السيّاب عبر تلك المشاهد يُنْقَس عن غضبه ونقمته على النساء اللواتي لم يأبهن لحبه- كما سنرى بعد قليل-.

وبشكل عام نجد أن مثلث الانكسار المتفاقم (الإحباط، اليأس، السخط) قد تبلور لحالات متطرفة في رؤيته ومفهومه:

سُحِقاً لهذا الكون أجمع وليحلّ به الدمار!

مالي ومال الناس؟ لست أباً لكل الجائعين. (٢٢) (المخبر)

هذا التنفيس لايقوله إلا من بلغ الذروة في غضبه وضيقه مما يحيط به من أحداث الحياة وتفاصيلها.

المرأة:

● المرأة في قصائد السيّاب وفي حياته أيضاً، هي نتيجة نهائية لاتحاد الأقسام السابقة (الطفولة، الاغتراب، السخط)، اتحادها إلى حد الانصهار والتشكل في صور ذهنية، وأخرى مادية يغلب عليها تهميمات جسدية جريئة.

وتنضح القصيدة السيّابية بذكر عشرات المحبوبات، وهو في هذا ليس بدعاً بالنسبة لشاعر متعطش للحياة الدافئة.

بيد أن الجدير بالذكر هنا، هو حقيقة الوجود الفعلي للشخصيات النسائية. مثل (لمياء، وفيقة، إقبال، ليلى، لميعة، هالة، نوار، ديزي، سلوى، لبيبة، ابنة الجلبي... إلخ)، فهنّ جميعاً شخصيات حقيقية عاصرن الشاعر ومررنّ في سماء حياته وأثرن نوازع الوجدانية حباً وحنيناً تارة وكرهاً وتعقيداً تارات.

** ونحن في هذه النقطة نرى السيّاب الرجل ينظر للأثني عبر بُعدين أساسيين:

أولاً: صور ذهنية للمرأة الأسطورية القادرة على تغيير الواقع المرير.

خذيني أطر في أعالي السماء

صدي غنوة ككررات سحابة

خذيني فإن صخور الكآبة

تشد بروحي إلى قاع بحر بعيد القرار

خذيني أكن في دجك الضياء

ولا تتركيني للليل القفارِ
 إذا شئتِ ألا تكوني لناري وقوداً
 فكوني حريقاً
 إذا شئتِ أن تخلصي من إساري
 فلا تتركيني طليقاً.^(٢٣) (خديني)
 والسِّيَاب يتطلع لنموذج المرأة المنقذة التي تنتشله من إحباطاته ويأسه وتُعيد الحياة إلى
 روحه اليائسة.

عيناك غابتا خيل ساعة السحر
 أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر
 عيناك حين تبسمان تورق الكروم
 وترقص الأضواء كالأقمار في نهر.^(٢٤) (أنشودة المطر)
 و أريدك ياسراباً في خيالي ليس يسقيني
 أريدك. ثم تُطوى موجةً وتطير أشلاءً
 فقاعات من النيران، من شوق ومن تذكّار.^(٢٥) (سفر أيوب ٦)
 والمرأة هنا تمتلك قوة عصا موسى.
 المرأة القادرة على تغيير العالم، على محو كل الأحزان، على الارتحال لعوالم لامتناهية من
 السحر والروعة.

والسِّيَاب مكثّر في استدعاءاته لهذه الأمنية، لاسيما في مطالع قصائده^(٢٦)، يستهل
 بقدرتها اللامحدودة لتغيير واقعه الكئيب.
 ثانياً: صورٌ غاضبة محتقنة بالعنف، يعيش فيها الشاعر أجواء اللقاء الحميم مع المرأة في جِدّة نُهمة،
 وغضب مكبوت، تتجسد عبر صور حسّية شبه انتقامية، حيث العنف الجسدي المولم:
 وحتى حين أصهر جسمك الحجري في ناري
 وأنزع من يديك الثلج، تبقى بين عينيا
 صحاري من ثلوج تُنهك الساري
 تمزق جسمك العاري.

تمرق تحت سقف الليل، نهدك بين أظفاري. (٢٧) (احتراق)

و يتناب جسمك في خلدي

فتجن عروقي

عريان تزلق في أبد

تُنهيه الرعشة فهي شروق

في ليل الشهوة كل دمي

يتحرق يلهث ينفجر

ويقبل ثغرك ألف فم

في جسمي تنبتها سقر. (٢٨) (حنين في روما)

وهناك من يُعلّل الصور الحسّية العارمة بالحالة الصحية للجسم، فبقدر ما يضعف الجسد، يتضاعف أوار الشهوة، فالشهوة هنا، النقيض المكافئ لمعاناة الموت. تشده شداً إلى الحياة. (٢٩)

ومع اني لا استبعد هذه الرؤية لاحتمالها فعلاً، إلا انني أرى عنف السّياب الموجه للمرأة عبر الصور السابقة رد فعل انتقامي- وذكوري بحت- يقتص من المرأة، ومن النساء اللواتي رددنه خائباً.

لأن جميع من أحببت قبلك ماأحبوني

وأجلسهنّ في شُرف الخيال.. وتكشف الخُرُق

ظلالاً عن ملامهن:

آه فتلك باعتني بمأفون

لأجل المال، ثم صحا فطلّقها وخلاها

وتلك.. لأنّها في العمر أكبر أم لأنّ الحُسن أغراها

بأني غير كُفء، خلّقتني كلما شرب الندى ورق

... وتلك كأن في غمازتيها يفتح السحر

عيون الفلّ والبلاب، عافنتي إلى قصرٍ وسيارة. (٣٠) (أحبيبي)

رفضه ربما لحظّه المتعثر في الحياة، حيث واجه الفصل من الوظيفة أكثر من مرة..

ودخل السجن أكثر من مرة..
 وعاش متنقلاً مطارداً أكثر من مرة..
 وحيث سلاسل المرض تحيطه من كل جانب..
 وحيث تنعدم الجاذبية الجسدية كرجل..
 فالسّياب جسدياً: جسم ضئيل متضعع وقسمات تميل للدمامة مع أسنان بارزة وأذنين كبيرتين نافرتين للأمام^(٣١)، وهو مُدرك لهذه الحقيقة ولإسقاطاتها على جوانب حياته الاجتماعية:
 واهي الكيان كأن خطباً هده
 ذاوي الشفاه لطول مايتنهد
 وهو المعطل من قوامٍ فارح
 يسي العيون ووجنةً تتورد^(٣٢) (بين الروح والجسد)
 هو مدرك فعلاً لهذا النقص المؤلم، وأغلب الظن أن حبه لهؤلاء الحبيبات كان حباً مُتوهماً من طرفه هو، كما أقر هو بنفسه في بعض قصائده:
 ثلاثون انقضت وكبرت،
 وكم حب وكم وجد توهج في فؤادي
 غير أني كلما صفقت يدا الرعد
 مددت الطرف أرقب: ربما ائتلف الشناشيل
 فأبصرت ابنة الجلبي مقبلة إلى وعدي
 ولم أرها.
 هراء كل أشواقي أباطيلُ
 ونبت دونما ثمر ولا ورد^(٣٣) (شناشيل ابنة الجلبي)
 فهذا العاشق المتوهم لازال وبعد انقضاء ثلاثين عاماً على موت ابنة الجلبي، الفتاة التي لم يرها أصلاً، لازال يذكرها ويدعوها ويتطوح حينئذ لها.
 والجدير بالذكر أن ابنة الجلبي ووفيقة، معشوقتان لم يحتك بهما الشاعر بصورة مباشرة.
 وللسياب قصائد استدعائية لوفيقة لاتقل هي الأخرى في حدة الحنين والحزن عليها.
 وهو عندما يطلب الحب من إحدى الحبيبات، يصرح بعدم تجاوب من أحبهن معه:

لأن جميع من أحببت قبلك لم يحبوني. (٣٤) (أحبيني)

وفي القصيدة (أحبيني)، نرى من عنوانها السّياب وهو يطلب الحب ويسأله سؤالاً من حبيبته الفرنسية هذه المرة.

وكثيراً جداً مايسأل السّياب الحب من محبوباته، فروحه مرتبطة بأرواحهن إنه -عبرهن - يعيش شعره وحياته، كما الجبل السري بينه وبينهن.

وتوجد بجانب هذه القصيدة قصائد أخرى يطلب فيها الشاعر الطلب ذاته من حبيبات أخريات، مثل قصائده: (اذكريني) و(اتبعيني) و(خذيني).

وقد كتب هذه القصيدة-التي يحكي فيها لحبيبته الممرضة الفرنسية عن بعض حبيبته السابقات- في مرحلة متأخرة من حياته، بعد أن تصارع مع الأمراض وصرعته، فكانت القصيدة مجالاً نفسياً للإفصاح عن داخله من حكايات حب حقيقية وحكايات أخرى وهمية، يُخبر السّياب الممرضة باعترافاته هذه كمودع أو شك على الرحيل.

"ووفقاً لأحوال الداء والاحتضار فإن المرء يستعيد ماضيه في شريط عجيب" (٣٥) ذاكراً الآن الأسباب الحقيقية وراء صدود من صدّت عنه.

ولسنا في هذا الصدد نتلمس صدق مشاعره كعاشق، ولكن النصوص تكشف- وكذلك تاريخ الشاعر- عِظَم مكانة (الأنتى) لديه.

فشخصية السّياب شخصية عاطفية سريعة الاستجابة لأي موقف بينه وبين الجنس الآخر، ولو كان هذا الموقف مجرد التفاتة أو نظرة خاطفة، أو حتى اصطدام عابر في أثناء السير.

مرّت فلامس شعرها شعري

فإذا الهوى بجوانحي يسري. (لامس شعرها شعري) (٣٦)

* والحقيقة أن ملامح (الحبيبة النموذجية) للسّياب تتبدى أكثر من خلال البعد الأول، وهو البعد الأكثر غزارة وكثافة في مجمل قصائده.

بعدت تكتظّ فيه صور المرأة الملهمة القادرة على بثّ النور في حياته، والنار في عروقه.

وإذا كان الجنين يرتبط مع أمه بجبلٍ سري، يمدّه بالغذاء وبالهواء، فإن السّياب يرتبط مع

المرأة بجبلٍ غير سري- بل هو في غاية العلانية- يمدّه بكل أسباب الحياة.

وبعد:

فقد استعرضت الدراسة ملامح عن الأفانيم الرئيسة للسياب، التي تجسّدت في أشعاره أيما تجسّد.

وكانت هذه الأفانيم الثلاثة- والروافد في ذات الوقت- بمثابة المفاتيح الأساسية لفهم شخصية الرجل وسر أغواره العميقة، وكان لا بد من أن تتطرق الدراسة لجانب الحياة العاطفية للسياب والمرأة في حياته، إذ لاجدوى من دراسة السياب دون هذا الجانب العظيم في حياته وأشعاره على حدٍ سواء.

- ١- للاطلاع على سيرة حياة الشاعر الرجوع إلى كتب الباحثين عنه مثل سلسلة إيليا الحاوي عن: بدر شاعر السّياب (ستة أجزاء) انظر: الجزء الأول. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠. ج ١/٥- ١١.
- ٢- السابق ٧/١
- ٣- رسائل السّياب، ماجد السامرائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٤، ط ٢، ٩٤.
- ٤- ديوان الشاعر (المجموعة الكاملة) وفق التسلسل الزمني في كتاب: بدر شاعر السّياب (حياته وشعره). جمع وترتيب: يوسف عطا الطريفي. الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، ط ٢، ٢٠١٢، ص ٢٠٧.
- ٥- كنتُ شبيوعياً، بدر شاعر السّياب، إعداد وليد خالد أحمد حسن، منشورات دار الجمل، ألمانيا، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٧ و ٨.
- ٦- السابق ص ٨.
- ٧- انظر: الطفل والطفولة في شعر السّياب، محمد صالح رشيد، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مج ١١، ع ١، ص ١٧، ١٨.
- ٨- السابق ص ١
- ٩- الديوان، ص ٣٥
- ١٠- السابق ص ٣١٥
- ١١- السابق ص ٣٩٤
- ١٢- السابق ص ٣٢٠
- ١٣- الشاعر السّياب في اغترابه، عبدالحسين شعبان، موقع: مؤسسة النور للثقافة والإعلام، ٢٠١٤، ص ٨.
- ١٤- السابق ص ٩
- ١٥- الديوان، ص ٤٨٠

- ١٦- الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر، محمد راضي جعفر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩، ص ٥.
- ١٧- انظر: السابق. وفيه تناول الكاتب المناهج التعويضية للشعراء في الصفحات من ص ١٤٧ إلى ص ٦٣.
- ١٨- الديوان ص ٤٢١
- ١٩- السابق ص ٣١٧
- ٢٠- هذه رؤيتي الخاصة بالنسبة لزجّ السّياب عشرات الشخصيات والرموز والأماكن في شعره، حيث أساء التوظيف الكثيف لها إلى روح القصيدة وغضّ من شأن سلاسة النسيج الشعري، موقعاً القارئ- والقصيدة كذلك- في مناطق مهترّة وداكنة من الغموض والجفاء (مع القصيدة نفسها).
- ٢١- موضوع القرية والمدينة عند السّياب من الموضوعات المتشعبة ويحتمل دراسات مستقلة.
- ٢٢- الديوان ص ٣٣٣
- ٢٣- السابق ص ٤٩٨، ٤٩٩
- ٢٤- السابق ص ٣١٩
- ٢٥- السابق ص ٥٠٩
- ٢٦- انظر مثلاً قصائده: خديني، في انتظار رسالة، عينان، أنشودة المطر.
- ٢٧- الديوان ص ٤٥٢
- ٢٨- السابق ص ٤٥٠
- ٢٩- بدر شاكر السّياب، إيليا الحاوي، ٥/٥٨، ٥٧/٥
- ٣٠- الديوان ص ٥٦٨
- ٣١- انظر: بدر شاكر السّياب (حياته وشعره)، عيسى بلاطة، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧١، ص ٢٩.
- ٣٢- الديوان ص ٩٠
- ٣٣- السابق ص ٥٤٨
- ٣٤- السابق ص ٥٦٨

٣٥- بدر شاكر السياب، إيليا الحاوي / ٥ / ١٠٠ .

٣٦- الديوان ص ٨٣

سيرة علمية

اسم الباحث: نوال عبد الرحمن أحمد المجاهد

أستاذة سعودية، تقيم في مدينة الرياض وتعمل في جامعة الإمامة.

تحمل درجة الدكتوراه- تخصص الأدب العربي- من جامعة الإمام الإسلامية.

متخصصة في أدب السيرة الذاتية (وهو موضوع رسالة الدكتوراه).

سبق لها نشر بعض المؤلفات مثل:

- ديوان شعر بعنوان (ادفع الباب)

- ديوان شعري ثاني بعنوان (هشة)

وبعض المؤلفات الأدبية والدينية.

عملت سابقا في المجال الصحفي (مجلة الأسرة، جريدة المسلمون، جريدة الاقتصادية)،

وسبق لها التدريس في جامعتي الإمام، الملك سعود.